جامعة سوهاج

كلية الآداب بسوهاج

قسم اللغة العربية

# ﴿المحاضرة الأولى﴾

# في مقرر النقد العربي القديم

# الفرقة الثالثة – قسم اللغة العربية

إعداد دكتورة/ هناء عابدين عبدالله

# ﴿قضية الخصومة بين القديم والحديث﴾

بقيام الدولة العباسية في أوائل القرن الثاني الهجري، تحولت الحياة من البداوة إلى الحضارة؛ وذلك بفعل ما طرأ على المجتمع العربي آنذاك من تغييرات فكرية، واجتماعية، وسياسية أيضا.

ونتيجة لذلك ظهر في القرن الثاني طائفة من الشعراء عرفوا بـ"الشعراء المحدثين"، وهؤلاء الشعراء قد تلقوا الشعر من القرن الأول صحيحا، قوي العبارة، جزل التراكيب، تغلب عليه بطبيعة الحال روح البداوة القديمة في المنهج والصياغة، والمعنى والخيال.

رأى هؤلاء الشعراء أن احتذاء القدماء في شعرهم يتنافى مع روح هذه الحياة التي يعيشون فيها، ومن ثم بدءوا يطوعون شعرهم لأغراضهم ويجددون فيه.

ولما كان القدماء قد سبقوهم إلى كل شيء من حيث فنون الشعر، ومعانيه، وأساليبه؛ فإنهم قصروا تجديدهم على ديباجة الشعر وصياغته، وعلى التعبير عن بعض النزعات والرغبات التي بدأت تتأثر بحياة التحضر، وبالروح الجديدة.

ولم يرض المجتمع المدني رضاء كاملا عما ذهب إليه هؤلاء الشعراء المحدثون، فبدأت خصومة بين الاتجاهين، الاتجاه القديم، والاتجاه الحديث.

## أسباب الخصومة بين القدماء والمحدثين:

**الأمر الأول: الثورة على العرب، وعلى قوميتهم:**

فثاروا على العرب، وعلى فكرة تقديسهم؛ حيث ساد في المجتمع آنذاك أن تقديس العرب هو تقديس الدين، ورأوا أن الإسلام نفسه يدعو إلى المساواة، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

**الأمر الثاني: الدافع الفني:**

بدأ الشعراء المحدثون إذا ينتقلون بحكم تأثرهم بالحياة الجديدة إلى مظهر جديد في الشعر؛ ثائرين به على الاتجاه القديم، ولعل أبا نواس كان أكثر المحدثين اتجاها إلى التجديد في الديباجة، فقد ثار في كثير من شعره على المقدمات الطللية؛ حيث كانت تستهل القصائد في القديم بذكر الأطلال والإبل والرحيل، وراح أبو نواس كغيره من شعراء الاتجاه الجديد يستبدلون ذلك الاستهلال بنعت الخمر والتغزل فيها، ومن ذلك قوله:

| | | |
|---|---|---|
| لا تَبْكِ ليلى، ولا تطْرَبْ إلى هنـــدِ، | | واشْرَبْ على الوَرْدِ من حمراء كالوَرْدِ |
| كأساً إذا انحدَرَتْ في حلْقِ شاربها، | | أجْدَتْهُ حُمْرَتَها في العينِ والخـــــدّ |
| فالخَمرُ ياقوتةٌ، والكأسُ لُؤْلُـــؤةٌ | | من كَفِّ جارِيَةٍ مَمشوقَةِ القَـــــدّ |
| تَسْقيكَ من عيْنها خمراً، ومن يدها | | خمْراً، فما لك من سُكرَينِ من بـــــدّ |
| لي نشوتان، وللنَّدْمانِ واحـــــدة، | | شيءٌ خُصِصْتُ به من بينِهِمْ وحـــدي |

## التجديد في الصياغة:

اتجه الشعراء المحدثون إلى التجديد في الصياغة، واعتبروها أهم شيء في الشعر، فليس المهم عندهم أن يقال شيء، وإنما المهم أن يقال هذا الشيء في أسلوب شائق جميل، وفي عبارة منمقة مزخرفة، وقد اجتمع لهم من ذلك بعض فنون البيان، كـــ: الجناس، والطباق، والمقابلة، والتشبيه، والاستعارة؛ مما أطلق عليه "البديع"، وانتسب هؤلاء الشعراء إليه؛ فسموا بـ"شعراء البديع".

## التجديد في أوزان الشعر:

حيث اهتدى بعض المحدثين كبشـــار وأبي العتاهية إلى بعض أوزان جديدة غير التي نظم منها القدماء، وكان من أئمة هذا الاتجاه الجديد: أبو نواس، وبشـــار بن برد، وأبو العتاهية، ومســـلم بن الوليد، وابن مناذر... وغيرهم.

## لقد انقسم الشعراء القرن الثاني إلى قسمين:

١. محافظين يتمسكون بقديم الشعر وتقاليده
٢. وإلى محدثين يرومون التخلص من سلطان القديم، ويحاولون التجديد في الشعر بما يساير روح العصر الذي يعيشون فيه.

وقد أدى هذا الانقسام إلى الخصومة فيما بين الشعراء، فكلا الفريقين يعتز باتجاهه، وهذا الخلاف بين أنصار القديم والحديث أدى إلى اختلاف النقاد أيضا؛ نظرا لارتباط النقد بالأدب، فمنهم من تعصب للقديم لا يفضل عليه أي شعر، ومنهم من انتصر للحديث أيا كان وأزرى بالقديم.

## من تعصب للقديم من الشعر

وممن تعصبوا للقديم طائفة اللغويين والنحاة؛ لأسباب رآها كثير من الباحثين أسبابا لغوية؛ حيث حكموا على جودة الشعر بناء على تقدم عصره، وكان من أئمة اللغويين والنحاة الذين تعصبوا للقديم في هذا القرن الثاني الهجري ابن الأعرابي الذي كان يرى أن: " أشعار المحدثين مثل الريحان؛ يشم يوما ويذوي فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر؛ كلما حركته ازداد طيبا". فابن الأعرابي لا ينكر الجيد من شعر المحدثين، ولكن القديم أحب إليه.

وهذا التعصب للقديم من جانب اللغويين والنحاة، لم يمنع هؤلاء من أن ينظروا في أشعار المحدثين ويوازنوا بينها، سأل ابن حاتم السجستاني الأصمعي: "أبشار أشعر أم مروان بن أبي حفصة؟ فقال: بشار أشعرهما. قلت: وكيف؟ قال: لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه؛ فلم يلحق بمن تقدمه، وأن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر، وأقوى على التصرف، وأغزر وأكثر بديعا، ومروان آخذ بمسالك الأوائل".

فهذا نقد معلل، صادر من لغوي، لم يرفض الشعر المحدث رفضا تاما، وإنما أثنى على ما رآه جيدا؛ حيث وصف بشار بأنه سلك طريقا لم يسلكه أحد؛ فانفرد به وأحسن فيه.

هذه صورة لموقف اللغويين والنحاة والرواة في القرن الثاني من هؤلاء الشعراء المحدثين، وهي صورة تظهر لنا أنهم كانوا -في جملتهم- يتعصبون للقدماء على المحدثين، ويحكمون لهم على أساس التقدم في العصر لا الشعر، كما ترينا أن منهم من توسع في نظرته النقدية، فانتصر أيضا لمن سار من المحدثين على مذهب القدماء.

وقد رأينا أن تجديد الشعراء المحدثين في هذا القرن لم يخرج عن كونه تجديدا في الشكل دون المضمون، فوقف تجديدهم عند الديباجة[1]، والصياغة الشعرية، والولع بما سمي فيما بعد بالبديع، أما الأغراض فلم يجددوا فيها، وأما المعاني فهي معاني أسلافهم لكن في صياغة جديدة، ولكن يؤخذ عليهم غلوهم في بعض المعاني، والتوسع في بعض نزعات سبقوا إليها، كالزهد، ونعت الخمر، والعبث والمجون، وهذا لا يعد تطويرا للشعر ولا تجديدا فيه.

---

[1] الديباجة: كلمة فارسية وتعني: مقدمة القصيدة، يقال: ديباجة الكتاب: أي فاتحته ومقدمته.

## الخصومة ما بين القدماء والمحدثين فيما بعد القرن الثاني:

وإذا كانت هذه الخصومة قد انقضت بانقضاء القرن الثاني وذهاب القدماء؛ فإنها امتدت إلى القرن الثالث وما بعده بين المحدثين أنفسهم، بين من يتمسك منهم بمذاهب القدماء ومن يؤثر الجديد ويمعن فيه.

وهذه الخصـــومة بين المحدثين من الشـعراء أدت بدورها إلى الخصـــومة بين نقادهم؛ فمنهم من تعصب لأنصار القديم من الشعراء، ومن تعصب لأنصار الحديث، وفريق ثالث اتخذ طريقا وسطا بين الفريقين.

## طوائف النقد في القرن الثالث الهجري:

وإذا نظرنا إلى القرن الثالث الهجري، نرى أنه قد ظهر أربع طوائف للنقد:

الطائفة الأولى: طائفة اللغويين والنحـاة.

الطائفة الثانية: طائفة الشعراء المحدثين.

الطائفة الثالثة: طائفة العلماء الذين جمعوا بين الثقافة العربية الأصـــيلة، والثقافة الأجنبية؛ بأثر الترجمة عن الفرس والهند واليونان.

الطائفة الرابعة: طائفة من أخذوا القديم، وعنوا في الوقت نفسه عناية كبيرة بالمحدثين.

## الطائفة الأولى: طائفة اللغويين والنحاة

على رأس هذه الطائفة ابن السكيت، والمازني، وثعلب، واتجاههم العام رفض شعر المحدثين في جملته؛ لأنه غير جارعلى منهج القدماء في الصياغة والمعاني.

## الطائفة الثانية: الشعراء المحدثون

سار الشعراء المحدثون في هذا القرن على نهج أسلافهم الشعراء، ومن هؤلاء: البحتري، وابن الرومي، وأبو تمام، ودعبل الخزاعي، وغيرهم.

**الطائفة الثالثة**: هي التي جمعت بين الثقافة العربية والثقافة الأجنبية؛ ويأتي على رأسها:

### ١- الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر، عاش الجاحظ في عصر، كانت الخصومة فيه على أشدها بين أنصار القديم والحديث من الشعر، وعنده أن عامة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولدين في مجموعهم، وإن كان هذا الحكم لا يستوجب التفضيل في كل ما قالوه.

وقبل أن نترك الجاحظ نقول: إنه قد قلل من شأن النحاة ورواة الأخبار والأشعار في النقد، وفضل عليهم عامة الرواة وحذاق الشعر، ممن يتمتعون بثقافة منوعة؛ حيث رآهم أهل العلم بالشعر، وأحق الناس بتقديره ونقده.

### ٢- ابن قتيبة:

كان له مقياس في النقد من خلال كتابه المعروف بـ(الشعر والشعراء)، لم ينظر ابن قتيبة إلى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظر بعين العدل إلى الفريقين، وأعطى كلا حظه، ورأى أن الله لم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم؛ بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره

هذا هو مقياس ابن قتيبة، فيدعو إلى عدم التفريق إلا بالقيمة فقط بين قديم ومحدث، فالشعر القديم قد يكون جيدا وقد يكون رديئا، والمحدث قد يكون - كذلك- جيدا وقد يكون رديئا، وعلى رأيه كل القديم كان حديثا في زمنه.

### ٣- ابن المعتز:

ألف ابن المعتز كتاب (البديع)؛ ليرد على زعم من زعم أن بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبا نواس، هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم، لكنه أثبت بالأمثلة الكثيرة من الأدب القديم، أن العرب قد عرفوا هذه الأساليب البديعية من قبل هؤلاء الشعراء المحدثين؛ فالمحدثون لم يسبقوا إلى هذا، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم.

والقضية لم تكن قضية فنون بديعية تجمع وتحصى، بمقدار ما كانت قضية خصومة بين القدماء والمحدثين؛ فابن المعتز في المحل الأول قد وضع كتابه (البديع) دفاعا عن القدماء؛ وذلك بإرجاع

الفضـل إليهم فيما ادعاه المحدثون لأنفسـهم من سـبق إلى فنون البديع، وكل ما هنالك من فرق: أنها جاءت عند القدماء قليلة طبعية، وعند المحدثين كثيرة بادية التكلف.

## القرن الرابع الهجري:

وإذا تركنا القرن الثالث، ودخلنا في القرن الرابع الهجري؛ نجد عالمين أديبين لكل منهما مقياس في النقد وهما: ابن طباطبا العلوي، والقاضي الجرجاني:

### ١- ابن طباطبا العلوي

ومن خلال نظرنا في كتاب (عيار الشـــعر) لابن طباطبا العلوي يمكننا أن نســتخلص رأيه في هذه القضية، وفي هذه الخصومة، فنراه يقول:

والمحنة على شعراء زماننا أشد منها على من كان قبلهم؛ لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة، فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ولا يربى عليها؛ لم يتلق بالقبول، وكان كالمطرح المملول، ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية وفي صـــدر الإســـلام من الشعراء، كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء، وافتخارا ووصفا، وترغيبا وترهيبا...

فينبغي للشاعر في عصرنا ألا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه، وسلامته من العيوب التي نبه عليها وأمر بالتحرز منها، ونهي عن استعمال نظائرها، ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطراب، وأنه يسلك سبيل من كان قبله".

### ٢- القاضي الجرجاني

أما القاضـــي الجرجاني، فقد أظهر رأيه في قضـــية القدم والحداثة من خلال كتابه (الوســـاطة بين المتنبي وخصومه) ؛

نرى الجرجاني يقدم فهمه للشـــعر؛ ليجعل الحكم ليس القدم أو الحداثة، وإنما الحكم هو تمكن الشاعر من أدائه الفني، وعليه يكون حكمه النقدي؛ وذلك حين قال: "ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولد..." .

ونراه يطلب من الشعراء المحدثين أن يتمرسوا بالأساليب الشعرية؛ حتى يستخلص كل منهم لنفسه معجمه الشعري، وهذه نظرة صائبة يتطلبها شعراء كل عصر.

## القرن الخامس الهجري:

### ١- ابن رشيق القيرواني:

من خلال كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) يتناول قضية القدماء والمحدثين، فنراه يقول: "كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه، بالإضافة إلى من كان قبله، وقد حاول ابن رشيق وضع مقاييس لجودة الشعر إذا توفرت؛ فلا دخل للجدل حول القدم أو الحداثة، منها:

١- حلاوة الكلام وطلاوته

٢- الرقة على ألا يكون الكلام سفسافا ولا باردا غثا[٢].

٣- الجزالة والفصاحة على ألا يكون الكلام حوشيا جافا.

ويكون موقفه من القضية عامة في قوله: "والمتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره متأخره إذا أجاد، كما لا ينفع المقدم تقدمه إذا قصر، ولا يكون الشاعر حاذقا مجودا حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره؛ فيسقط رديئه ويثبت جيده".

### ٢- ابن سنان الخفاجي:

من خلال كتابه (سر الفصاحة) ، فهو يرى أن هذه القضية، قضية خاصة بالإبداع الفني الذي يجب أن ينتصر فيه للمعنى دون القدم، أو الحداثة.

## القرن السابع: ضياء الدين ابن الأثير

تعصب ابن الأثير للقدماء في كتابه (المثل السائر)، وتعجب ممن زعم أن المعاني المبتدعة ليس للعرب منها شيء، وإنما اختص بها المحدثون، فيقول: "إن العرب السابقون بالشعر، وزمانهم هو الأول، فكيف يقال: إن المتأخرين هم السابقون إلى المعاني؟ !

---

[٢] الكلام السفساف: الرديء الحقير, والكلام الغث: الرديء الفاسد